

## التأسيس الفينومينولوجي للترانسندنتالية عند هوسرل

*Husserl's phenomenological foundation of transcendentalism*

1. إبراهيم كراش Brahim Kerrache ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر ، b.kerrache@yahoo.fr

2. رقية بن طشة Rekia Bentacha ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر ، bentacharekia@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/08/01 تاريخ القبول: 2021/10/09 تاريخ النشر: 2022/06/30

## المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التوجه الترانسندنتالي لهوسرل، ضمن مشروع الفينومينولوجيا الترانسندنتالية من زاويتين مختلفتين؛ الأولى: من خلال الترانسندنتالية المنهج الفينومينولوجي الذي يقوم على فكرة الذاتية الترانسندنتالية والرد، والثانية: من خلال النظرية الترانسندنتالية لعالم المعيش التي تحدد الفينومينولوجيا باعتبارها فلسفة ترانسندنتالية لأفق التداوت الترانسندنتالي، وتعيد النظر في مفهوم المفارقة الموضوعية للوعي، لترتبط بين العالم العلمي وعالم المعيش التلقائي من خلال المحايثة الذاتية للمعاني الترانسندنتالية للعالم. وتتناول هذه الدراسة مكانة الفينومينولوجيا بوصفها من أبرز التيارات الفكرية في القرن العشرين، وذلك لاهتمامها بأهم القضايا الفلسفية التي تمس الحياة الإنسانية المعاصرة، إذ أن الفينومينولوجيا قد نشأت في محاولة لحل أزمة الوعي وما أفرزته من مشكلات للعلم والفلسفة، بعدما سيطرت النزعة الموضوعية للعلم الحديث على رؤية العالم، وفقدت الفلسفة قيمتها المعرفية.

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا، الترانسندنتالية، المعيش، التيارات الفكرية.

**Abstract:**

This study aims to shed light on Husserl's transcendental approach in the project of transcendental phenomenology on two different sides: The first, through the transcendence of the phenomenological method, which is based on the idea of transcendental subjectivity and Reduction. The second, through the

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعربريج

التقييم الدولي الإلكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

transcendental theory of the world of experience, which defines phenomenology as a transcendental philosophy of the horizon of transcendental Intersubjectivity and reconsiders the concept of transcendental Objective of consciousness, to connect the scientific world to the world of spontaneous life, through Emanate subjective transcendental meanings of the world.

The study treats the status of phenomenology as one of the most important intellectual currents of the twentieth century, because of its interest in the most important philosophical issues affecting contemporary human life. Phenomenology emerged in an attempt to solve the crisis of consciousness and the problems it created for science and philosophy, after the objectivity of modern science dominated the world view, and philosophy lost its cognitive value

**Keywords:** phenomenology; transcendental; *experiences; intellectual currents.*

## مقدمة:

تعتبر الفلسفة المعاصرة فلسفة للأزمة الغربية التي شهدها العالم، نظرا لانتهاره الشديد بالمنهج الرياضي التجريبي، وذلك بعد الاكتشافات العلمية الباهرة التي حققها الابحاث العلمية للقرن التاسع عشر، والتي دعمت مزاعم النزعة السيكلوجية، في قيام المعرفة انطلاقا من التجربة الحسية المحضة، وبروز الروح التقنية التجريبية للعصر كان ذا اثر وخيم على القيم الروحية للانسان وفهمه لذاته وللعالم المحيط به، بسبب ثقته المطلقة في الموضوعية العلمية وإقصائه لليقين الذاتي من دائرة العلم، فكانت أزمة الفلسفة نتيجة حتمية لتغيب المساءلات الإنسانية التي تحدد قيمة الإنسان ودوره الذاتي في اكتساب المعرفة، بسبب الفصل التام بين العالم الامبريقي وعالم الحياة الإنسانية، الأمر الذي خلق ضرورة ملحة للعودة إلى الذاتية الترنسندننتالية التي دشنتها الفلسفة الديكارتية وطورها الترنسندننتالية الكانطية، من خلال الاتجاه الفينومينولوجي لهوسرل\* (1938-1859: Husserl) باعتباره مشروعا ترانسندننتاليا إصلاحيا، يزاوج بين فعاليات المعرفة الامبريقية والمعرفة الذاتية الخالصة، وبين عالم الطبيعة وعالم الوعي بمراعاة المعيش الإنساني وتاريخيته المعاشة.

يختص هذا البحث بدراسة فلسفية ضمن الحقل الاستيمولوجي -على وجه الخصوص- حول موضوع: "الترانسندننتالية في فينومينولوجيا هوسرل"، وستتم دراسته ضمن بعدين أساسيين؛ الأول هو البعد المنهجي لترانسندننتالية الفينومينولوجيا، والثاني هو البعد الفلسفي لترانسندننتالية نظرية عالم المعيش.

لقد عاصر هوسرل أزمة العالم الأوروبي، مما جعله يتأثر بمظاهر هذه الأزمة ويحاول معالجتها من خلال مشروع الفينومينولوجيا الترنسندننتالية، والإشكال المطروح هو: هل يمكن لترانسندننتالية هوسرل أن تتضمن حلا فينومينولوجيا للأزمة؟ وبعبارة أخرى؛ إلى أي مدى يمكن للفينومينولوجيا أن تمثل موقفا ترانسندننتاليا يتجاوز أزمة العالم الأوروبي؟

## 1- هوسرل والتحول نحو الترنسندننتالية:

إن التحول الترنسندننتالي لهوسرل هو تحول الفينومينولوجيا الناشئة إلى فينومينولوجيا ترانسندننتالية ضمن تطوراتها الفكرية، إذ بدأ هوسرل مشواره الفكري باعتناق النزعة النفسية

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

التجريبية المرتبطة بدراساته الرياضية، ثم انتقدها بعد دراسته التالية للمنطق، ليبيّن أسسًا جديدة لعلم النفس تكون بداية تكوين الفينومينولوجيا، ثم أكمل بعد ذلك صورتها النهائية من حيث الهدف والمنهج، ليؤسس فينومينولوجيا ترنسندننتالية توحد جميع المعارف وتكون علما صارما.

يستأنف هوسرل مفهوم "الترنسندننتالي" في الفينومينولوجيا من خلال تأسيسه للفينومينولوجيا الترנסندننتالية بين سنتي (1913) و(1929)، أي تاريخ نشر كتاب "الأفكار" و"التأملات"، وما يتوسطهما من مؤلفات مثل المنطق (1929) ودروس الفلسفة 1 (1923-1924). وقد تأسست الترנסندننتالية بوعي من أفكار كل من أفلاطون وكانط وهيوم، وخصوصا الأفكار الديكارتية، حيث كان مؤلف "أفكار" يحمل فكرة عزل الوعي عن الطبيعة، وفي هذا الوعي الذاتي تتضح ذاتية ديكارت التي ستظهر بصورتها الترנסندننتالية مع مؤلف "التأملات"، في شكل منهج، ليقوم هوسرل –بعدها- بالتأصيل لمنطق ترنسندننتالي في كتاب "المنطق"، بإخضاعه لمفهوم الماهية الى تعيين ذاتي من خلال فهم منطقي دقيق ومنظم. وبالتالي يعتبر المؤلف الأول "أفكار" تمهيدا لترنسندننتالية الفينومينولوجيا، إذ يعتبره "ريكور" انتقالا للفينومينولوجيا من الواقعية الناشئة مع مباحث منطقية (1900-1901) إلى المثالية الترנסندننتالية مع "أفكار" (1913). أما مؤلفي "المنطق" و"التأملات"، فتمثل اختمار هاته المرحلة الترנסندننتالية، ومنها يتم تحليل الرد الترנסندننتالي والتأسيس الترנסندننتالي للفينومينولوجيا الترנסندننتالية التأويلية. وقد حدثت هذه النقلة تزامنا مع عدول هوسرل عن البسيكولوجيا الوصفية<sup>(1)</sup> التي رافقت الفينومينولوجيا الناشئة، ثم تحولت بعد هذا العدول إلى الفينومينولوجيا المقومة أو الترנסندننتالية.

تتضمن التمهيدات الترנסندننتالية لـ "مؤلف أفكار" فكرة الذاتية الديكارتية بالإضافة إلى تحليلات فلسفية ذات طابع مثالي صاغها هوسرل في الفقرات (30.31.32§) وهي تحليلات ذات مسار أفلاطوني، وتقترب بصورة كبيرة من أمثلة الكتاب السابع من "محاورة الجمهورية" أو "أسطورة الكهف"، حيث تبين الأسطورة ضعف الموقف الطبيعي، المقيد بظلامية الكهف المادي، كما تبين أن التفلسف الحق هو التحرر من قيود كهف الأفكار التقليدية، وعلى نفس الشاكلة يستهدف الموقف الايبوخي العودة إلى الذات وتخليصها من أفكار الموقف الطبيعي الساذج،<sup>(2)</sup> بهدف

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الابداع القانوني: ديسمبر 2017

وصف الماهية بموضوعية، وبشكل ترسندنتالي مجرد من جميع الأحكام المسبقة. وفي هذه الرؤية الترسندنتالية للفينومينولوجيا، نلمس التوجه الماهوي للمثالية الأفلاطونية، التي تجعل من الفكرة أو الماهية (Edos)، هي مبدأ الوجود وبالتالي تثبت تبعية العالم الواقعي للأفكار المجردة من الأحكام الطبيعية<sup>(3)</sup>، وكذلك الفينومينولوجيا الترسندنتالية تستخلص الواقعي من ترابطه الماهوي بالوعي، لأن رؤية الماهيات هي رؤية للمثل بشكل ترسندنتالي، ولذلك فإن «الوعي عن إدراك المثل هو نوع من الوعي في النفس ولعل من يعاني منه قد أصبح بفعل الأحكام المسبقة عاجزا عن أن ينقل ماله في مجالات حدسه إلى مجال الحكم<sup>(4)</sup>» لأن الرؤية الترسندنتالية هي المؤسسة للأحكام الخالصة. وإضافة إلى ذلك نجد أفلاطون قد وضع التأسيس للفلسفة العقلية الكلية من خلال منطق المنهج الديالكتيكي ليكون تمهيدا لانطلاق فينومينولوجيا ترسندنتالية بمعنى العلم الكلي الصارم<sup>(5)</sup>.

وعلى الرغم من تعايش المثالية الأفلاطونية في الفكر الفينومينولوجي، إلا أن هوسرل ينتقد الأساس الميتافيزيقي لنظرية المثل، خصوصا في بعدها الواقعي، إذ لا يوجد ما يثبت أن للمثل وجودا واقعيًا وان «ما يتكرر طابعه الصادم دائما هو كوننا نضع مثلا أو ماهيات كحقائق ذات نزعة أفلاطونية نضعها كموضوعات مثلها مثل غيرها من الموضوعات وننسب إليها الوجود الفعلي» لأن هناك أفكار خيالية لا يوجد لها أي مقابل واقعي مثل أفكارنا التي ننسجها عن الكائنات الأسطورية. كما أن الفينومينولوجيا لا توضح علاقة المشاركة بين المثل والوجود بشكل ميتافيزيقي أو من خلال ميتادولوجيا أسطورة الكهف، بل توضحها بشكل ابستيمولوجي<sup>(6)</sup>، لأن الابستيمولوجيا الترسندنتالية تؤكد على رؤية منهجية للماهيات الخالصة.

وبالتالي فإن التضافيف بين الموضوع والذات الترسندنتالية في الفينومينولوجيا والتعالق بينهما لا يفهم من خلال نظرية المشاركة الأفلاطونية، وميتادولوجيا العلاقة بين المثل والموجود، بل هي نظرية للتأسيس الترسندنتالي الذي يحمل طابعا ابستيمولوجيا ومنهجيا يمكن الذات من حدس الماهيات. ولذلك ظلت المثالية الأفلاطونية فلسفة ستاتيكية لا تحقق مطلب الفلسفة العلمية الترسندنتالية، مما جعل هوسرل يلجأ إلى استئناف المشروع الكانطي، والخوض في المسائل

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري 2602-702X:ISSN

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

الترنسندننتالية والمنهجية للمعرفة واستكمال المشاريع الفكرية لفلاسفة آخرون أمثال؛ أفلاطون وديكارت وهيوم من خلال الفينومينولوجيا الترنسندننتالية.

اقتبس هوسرل من الفلسفة الكانطية مصطلح "الترنسندننتالي" ليطلق على مشروعه الفينومينولوجي اسم "الفينومينولوجيا الترنسندننتالية" كما هو وارد في مؤلفاته المتأخرة خصوصا "المنطق الترنسندننتالي" (1929) و"أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندننتالية" (1936)، أما توجهه الترنسندننتالي فقد ظهر في بداية مسيرته الفلسفية من خلال ارتباطه بـ "كانط" ثم "فشته" والكانطيين الجدد من مدرسة "ماربورغ" ومدرسة "باد" من أمثال "ناتورب" و"ريكرت"، فمنذ مؤلف فكرة الفينومينولوجيا (1907)، ربط هوسرل اشكاليته الفلسفية بإشكالية كانط، لتتحول الفينومينولوجيا ترنسندننتاليا الى فينومينولوجيا راديكالية لنقد العقل وشروط المعرفة التي حددها كانط في مؤلفه نقد العقل المحض (1781) ضمن منهجه النقدي في الشروط الترنسندننتالية<sup>(7)</sup>. ولعل الفينومينولوجيا بمعناها العلمي الصارم كانت تحتاج إلى استضاء عميقة بفلسفة كانط العلمية التي طمحت هي الأخرى لعلمنة الميتافيزيقا من خلال نقد جذري لكل توجه دوغمائي. وبالتالي طرح هوسرل أشكال الفينومينولوجيا الترنسندننتالية من ناحية ابستمية منهجية. لأن كانط قد قدم من خلال "نقد العقل المحض" منهجا نقديا راديكاليا لا يستمد تأسيسه المعرفي من المواقف الطبيعية والموضوعية، بل هو نقد مثالي ترنسندننتالي لشروط المعرفة التي تنبع من ذات مفكرة تتأمل العالم<sup>(8)</sup>. وصار هذا النقد ثورة كوبرنيكية فاحصة للعقل الإنساني، تجعله منظما ومؤسسا للمعارف الموضوعية، بعد أن كانت النظرة العلمية تجعل العقل يخضع لمنظومة الموضوعات.

لم تتأسس الترنسندننتالية الفينومينولوجية بالمعنى الثيولوجي الذي صاغه ديكارت للإله المفارق للعالم، بل أضحت الترنسندننتالية -بتوجهات كانطية- نفسها محايدة للطبيعة ومشرفة لقوانينها العلمية الصارمة حين استعاد الكائن العاقل قدرته الذاتية في تعقل العالم من خلال الحدوس الإنسانية. غير ان ترنسندننتالية الفينومينولوجيا قد تجاوزت الترنسندننتالية الكانطية، لاعتبارها ترنسندننتالية سيكولوجية<sup>(9)</sup> -من منظور هوسرل- لأنها تبني المعرفة على مبادئ ذاتية سابقة عن التجربة، كما يختلف هوسرل مع كانط في نظرية الشيء في ذاته "النومينا"، ومفهوم

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

الادراك والوعي الترنسندننتالي<sup>(10)</sup>، وخصوصا نظرية الحدس، لان كانط قد أسس نظريته للوعي الترنسندننتالي، من خلال فصل الشيء عن ظاهره، إذ يحصر المعرفة الترنسندننتالية في إدراك الظواهر، أما الشيء في ذاته يظل خارج حدود التجربة وبالتالي يبقى مهما. بينما يتجه هوسرل إلى معرفة الأشياء في ذاتها، دون فصل حقيقة الشيء عن ظاهره لان الفينومينولوجية تتجه للأشياء ذاتها بوصفها ماهيات خالصة يحدسها الأنا الترنسندننتالي، ولذلك ينفي هوسرل نظرية الشيء في ذاته باعتبارها اللامعنى بالنسبة للفينومينولوجيا، ويعتبرها نظرة محدودة للدلالة الترنسندننتالية، لان الترنسندننس المطلق للنومينا يجعل المعرفة الترنسندننتالية محدودة بالشروط الحسية وقيود المعرفة الامبريقية.

ويختلف الحدس الفينومينولوجي عن الحدس الكانطي، إذ يقوم الحدس الكانطي على نظرية الحساسة بطابعها الحسي، اما الحدس في منظور هوسرل فهو حدس ترنسندننتالي ماهوي للدهاية العقلية، أو رؤية عقلية مباشرة للماهيات، باعتبارها حضورا للأشياء ذاتها في الوعي الخالص. وبينما يعتبر كانط الترنسندننتالي شرطا قريبا لقيام المعرفة، فان هوسرل يجعل من الترنسندننتالي منهجا متكاملًا للمعرفة، لان الفينومينولوجيا لا تتأسس على مجرد قضية نفسية أو منطقية<sup>(11)</sup>، بل تتأسس على انطولوجيا ذات فعلية، ذات طبيعة حدسية، مكملة للكوجيتو "الأنا أفكر"، من خلال فكرة التفكير البديهي في الأشياء المفكر بها وهي بمثابة استكمال للكوجيتو الديكارتي.

يعتبر مؤلف التأملات بمثابة انعطافة ترنسندننتالية وعودة راديكالية للمقصد الديكارتي الذي عجزت ترنسندننتالية كانط عن فهمه ذاتيا باعتبارها ترنسندننتالية ذات توجه امبريقي، حيث يقول هوسرل في مقدمة مؤلفه "تأملات ديكارتية" بأن «الفينومينولوجيا الناشئة قد تحولت عن طريق دراسة "التأملات" التي كتبها "ديكارت" إلى نموذج جديد من نماذج الفلسفة الترنسندننتالية<sup>(12)</sup>». لان التأملات هي عودة للذاتية الخالصة من خلال الكوجيتو، واكتشاف للمنهج الفينومينولوجي على ضوء منهج الشك الديكارتي.

يؤسس هوسرل الذاتية الترنسندننتالية انطلاقا من الذاتية الديكارتيّة (Cogito) التي تؤسس لليقين المعرفي، حيث طورت الفينومينولوجيا فكرة الذاتية إلى صورتها الترنسندننتالية من خلال فكرة قصدية الوعي، ليصبح الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر" عند هوسرل "أنا أفكر بشيء ما"

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

(cogitatum)، لان الفكر لابد أن يرتبط بالشيء المفكر فيه من حيث هو وعي قصدي بموضوعاته، وتلك الموضوعات تصير بفعل الرد الماهوي والرد الفينومينولوجي ماهيات ترنسندننتالية يمكن حدسها من خلال الذاتية الترنسندننتالية.

يكشف هوسرل -من خلال المنهج الديكارتي- عن بدهاة المعرفة النابعة من اليقين الذاتي<sup>(13)</sup>، ويحفظ بهذه الصورة المنهجية ليطورها في صورة المنهج الابوخي والتعليق، الذي ينتقل فيه الفكر من الموقف الطبيعي الى الموقف الفلسفي الترنسندننتالي. أو -إن صح القول- من الأحكام الطبيعية والموضوعية (Jugements naturels objectifs) الساذجة إلى الأحكام الفينومينولوجية الترنسندننتالية (Jugements (phénoménologiques transcendants). لكن على الرغم من التأسيس الديكارتي لمنهج للذاتية الخالصة إلا أن الذاتية -على حد رأي هوسرل- قد انحرفت إلى حقل لا ترنسندننتالي، لان المقصد الديكارتي انقلب الى ثيولوجيا بسبب فكرة الضمان الإلهي، كما ان ذاتيته الخالصة قد ابتعدت عن ترنسندننتالية الانطولوجيا الابستمية، لان "الأنا أفكر" الديكارتي ظل سجين النزعة النفسية المغلقة<sup>(14)</sup>، بينما تطمح الفينومينولوجيا الترنسندننتالية الى نقل الأنا النفسي إلى حقل الأنا الترنسندننتالي من خلال التعليق الفينومينولوجي من اجل حدس الماهيات باعتبارها موضوعات للوعي الخالص، الأمر الذي جعل هوسرل يسعى لتجذير المقصد الترنسندننتالي الديكارتي من خلال الموضوعية الذاتية (Objectivité subjective) لهيوم.

تستند ترنسندننتالية الفينومينولوجيا على أسس عميقة من فلسفة هيوم، لان هوسرل نفسه قد وضع فصلا بين الانتماء الامبيرقي لهيوم الذي استمده من المدرسة التجريبية، وبين مقصده الترنسندننتالي الذي ظهر من خلال كتابه "مقال عن الطبيعة البشرية" (Un traité de la nature humaine 1739)<sup>(15)</sup>، حيث يقوم هيوم بتجذير الكوجيتو أنا افكر وجعله أساسا لليقين الذاتي من اجل إدراك العالم دون اتخاذ علل ترنسندننتالية مفارقة أو ضمان الهي كالذي اتخذه ديكارت من قبل، لان العالم يتحدد عن طريق الإدراك الداخلي للإنسان وما يحمله من انطباعات وخيالات وأفكار.

وتجدد الفينومينولوجيا مقاصد هيوم الترنسندننتالية في فكرة تقديره الذاتي للعالم في فكر راديكالي يتجاوز الموضوعية الدوغمائية التي تجعل الحقائق موضوعية خارجة عن الذات، وبما إن الأشياء

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017



هي نتاج انطباعات وإدراكات ذاتية للظواهر بوصفها انعطافات محايدة للوعي الداخلي فان حقيقة العالم هو نتاج فعل تقوم ذاتي ترنسندننتالي للعالم، وتحيل "نظرية الأفكار" لهيوم إلى ارتباط الموضوع بالفكر ومما يوحى بالتعلق القصدي لهوسرل، غير أن هوسرل يرفض طبعة الفكرة أو الوعي الذي قال به هيوم<sup>(16)</sup>، الذي جعل الأفكار نتاج انطباعات حسية بوحى استقرائي امبريقي، لان الوعي الترنسندننتالي في الفينومينولوجيا هو رؤية عقلية للماهيات. وإضافة لذلك فان هوسرل يتجاوز ريبية هيوم التي تطل ضرور المعرفة العقلية، لان الهدف من تكوين فينومينولوجيا ترنسندننتالية هو تحصيل علم يقيني صارم من اجل بناء نظرية ترنسندننتالية للتأسيس (Constitutions) بما هو وعي ذاتي ترانسندننتالي بالعالم الخارجي.

يطرح هوسرل مفهوم الترنسندننتالي -فينومينولوجيا- ضمن مفاهيم الفينومينولوجيا الترنسندننتالية باعتبارها فلسفة منهجية لأنطولوجيا ابستمية تتأسس على فكرة الوعي الترنسندننتالي بالعالم. ويعرفها في مؤلفه "أفكار"، بأنها «علم الماهيات<sup>(17)</sup>» أي العلم الذي يقوم بتحليل العمليات الترنسندننتالية في الشعور الخالص، ويدل الترنسندننتالي في الفينومينولوجيا على المنهج الذي تقوم فيه الذات بالرد الترنسندننتالي للموضوعات الخارجية، من اجل تحليلها ماهويا وبشكل مجرد من جميع الأحكام الوجودية والتاريخية المسبقة، إذ يتعالى الأنا الترنسندننتالي على العالم الحسي ليضفي عليه معانيه فيكون بذلك أساسا لليقين المعرفي.

يتبلور مفهوم الترنسندننتالي الفينومينولوجي في التأمل الأول لمؤلف التأملات، إذ يتناوله هوسرل من حيث هو حالة من الارتقاء الذاتي الذي تنتقل فيه الذات من الموقف الطبيعي إلى الموقف الفينومينولوجي، ومن الأنا النفسي إلى الأنا الترنسندننتالي، من خلال منهج التعليق<sup>(18)</sup> والردود الماهوية والترنسندننتالية. ويعني الرد الترنسندننتالي -بالمعنى الدقيق- حدس الأنا الترنسندننتالي للظواهر الواقعية، من خلال تجريدها من واقعيتها لتصير ماهيات خالصة في الشعور، وبالتالي فان الرد الفينومينولوجي هو ما يعطي الموضوع معناه لكن ليس في وجوده الفعلي، ولا في وجوده الايبوخي، بل في واقعه المحايث للشعور<sup>(19)</sup>.

تتأسس الدلالة الترنسندننتالية في الفينومينولوجيا على مفهوم المحايثة (immanent). لان الوعي الترنسندننتالي هو وعي ذاتي محايث للشعور وليس مفارقا له أو خارجا عنه. ويعبر هوسرل عن

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الابداع القانوني: ديسمبر 2017

ذلك بوضوح في نص مؤلفه التأملات إذ يقول: «ليس الشيء أو الحقيقة في حال البدهة (مقصودا) فقط على نحو بعيد وغير مطابق، بل انه حاضر لنا بذاته، فالشخص الذي يحكم يشعر به إذن شعورا محايا»<sup>(20)</sup>. وبالتالي فان الرد الترنسندننتالي يأخذ معناه الباطني من الدلالة الذاتية للكوجيتو بوصفه وعيا ذاتيا محايا للشعور الخالص، ومن خلال الكوجيتاتوم القصدي للموضوع فان الفينومينولوجيا الترنسندننتالية تدرس الظاهرة دراسة ماهوية محايا للوعي. حيث ينفصل الترنسندننتالي (transcendental) عن مفهوم المفارق (transcendant) بشكل تام، لان المفارق هو كل ما هو خارج عن الكوجيتو بما في ذلك المعارف العلمية وجميع الأحكام المسبقة،<sup>(21)</sup> وبمعنى أدق تطلق صفة "الترنسندننتالي" على الأنا الترنسندننتالي المباحث لتجربة الشعور الباطني، ويكون مستقلا عن العالم الخارجي من حيث هو عالم موجودات مفارقة للوعي ويمكن القول أن الترنسندننتالية هي فلسفة ومنهج ابستمولوجي للوعي الترنسندننتالي في عملية إدراكه للموضوعات المحايا للوعي القصدي. كما تعتبر نظرية هيرمونيتيقية (Hermonétique) للتعقود الترنسندننتالي للعالم. وذلك في إطار مشروع الفينومينولوجيا الترنسندننتالية، فكيف يمكن التماس الأبعاد الترانسندننتالية لهذا المشروع؟.

## 2- التأسيس الترانسندننتالي للمنهج:

لم يحدث التأسيس الترانسندننتالي للمنهج الفينومينولوجي سوى مع التحولات المثالية للفينومينولوجيا الترانسندننتالية، حيث شرع هوسرل -بداية- في تأسيس المنهج الفينومينولوجي باعتباره منهجا تحليليا، وظيفيا للوعي القصدي، تزامنا مع نقده للزعة السيكلوجية، تلك الزعة التي تعتبر ان القوانين المنطقية مجرد عمليات سيكلوجية تجري فعليا في الذهن اعتمادا على المنهج التجريبي، والتي كان قد تبناها في مرحلة كتابته لمؤلف "فلسفة الحساب" (La philosophie de l'arithmetique 1891)، ثم انقلب يعادها بعد المنطقية ضمن مؤلف "أبحاث منطقية" (1900) وLa recherches logique) الذي يتضمن نقد هوسرل للزعة السيكلوجية بدعوى أنها زعة ربية لا تميز بين عمليات التفكير التي تدرسها السيكلوجيا وبين الفكرة ذاتها<sup>(22)</sup> التي هي محور الدراسة الفينومينولوجية الصارمة باعتبارها ماهية خالصة.

من هنا يبرز المنهج الفينومينولوجي باعتباره تحليلاً للشعور ووصف مكوناته الذاتية، وهو منهج يتوافق إلى حد كبير مع منهج التحليل السيكلوجي من حيث الموضوع المدروس، لأن كلا المنهجين يقوم بدراسة الشعور، إلا أنهما يختلفان بشكل أساسي من حيث طبيعة الدراسة، فبينما يدرس المنهج السيكلوجي الشعور المرتبط بالوقائع الطبيعية، يدرس المنهج الفينومينولوجي الشعور الماهوي<sup>(23)</sup>؛ وبمعنى آخر تدرس السيكلوجيا الشعور التجريبي، بينما تدرس الفينومينولوجيا الشعور الخالص من أجل الوصول إلى الماهيات الخالصة بعيد عن كل حكم مسبق في ما يعرف بالتوجه الماهوي. غير أن هذا التوجه بقي -في نظر هوسرل- توجهاً قاصراً، لخلوه من الراديكالية المنهجية، ولذلك اتجهت الفينومينولوجيا نحو المثالية الترנסندننتالية لتأسيس المنهج الفينومينولوجي باعتباره منهجاً ترנסندننتالياً ضمن مؤلف "التأملات" (1929 Les Méditations)، ومؤلفات سابقة مثل "الأفكار" (1913 Les idées) ثم أكدت عليه شرحته مؤلفات لاحقة، مثل "الأزمة" (1936 la crise).

يعرض هوسرل ضمن كتاب "التأملات" (1929) منهجه الترנסندننتالي على ضوء الفلسفة الديكارتية متأثراً بفكرة الذاتية الخالصة للكوجيتو، حيث تقوم الفينومينولوجيا الترנסندننتالية على مبدأ الوعي الذاتي، كما يهدف هوسرل على غرار "ديكارت" إلى صياغة مبادئ صارمة لإصلاح الفلسفة وجعلها علماً كلياً يقينياً، غير أنه يخالفه في فكرة اتخاذ النموذج الفيزيو-رياضي<sup>(24)</sup> نموذجاً يقينياً للعلم الكلي، انهياراً بالنتائج العلمية الدقيقة التي بلغها العلم الرياضي الحديث، إذ أن هوسرل يرفض وضع أي نموذج معرفي أعلى من العلم الكلي، لأن الفينومينولوجيا الترנסندننتالية هي العلم الذي تتأسس عليه جميع معارف العلوم الأخرى. ولأن هوسرل يرفض التسليم بأي معرفة مسبقة على نحو البداهة الديكارتية الساذجة. فالبداهة القطعية (évidence) المطلقة، ليست البداهة التي تؤخذ من مسلمات ساذجة بل هي المستوحاة من الوجود المحايث للأشياء ذاتها ضمن نطاق الشعور<sup>(25)</sup>؛ أي أنها مطابقة الماهية في وجودها الماهوي للموضوع ذاته في وجوده الواقعي، واستناداً إلى ذلك ينتقد هوسرل الاتجاهات المعرفية السابقة بشكل راديكالي من أجل تأسيس أرضية المنهج الفينومينولوجي على أساس صارم انطلاقاً من نقد دوغمائية الاتجاه الواقعي والاتجاه المثالي معاً، حيث ينتقد مسلمات المذهب الواقعي التي ترد جميع الحقائق إلى

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الإيداع القانوني: ديسمبر 2017

الوجود المادي وإلى الوقائع الجزئية التي تقع في إطار زمكاني مستقل عن الذات، كما ينتقد مسلمات المذهب المثالي التي ترد جميع الحقائق إلى تمثيلات ذاتية للوعي، باعتبارها أفكار وماهيات مجردة من الأحكام الجزئية العارضة للعالم المادي. فيخصص الفصل الأول من كتاب "الأفكار" في بيان استحالة الفصل بين الواقعة المادية، والماهية<sup>(26)</sup> العقلية، لأن الوقائع المادية تشمل المعطيات الحسية التي تصير معطيات ماهوية للوعي الذاتي، وبالتالي فإن الواقعة لا تدرك على نحو مفارق، بل على نحو محايث للوعي. وذلك لأن الرد الماهوي يجعل الجزئيات العرضية في الوقائع، ماهيات خالصة تحدس بشكل ذاتي ترنسندننتالي، وعلى هذا الأساس تتأسس ترنسندننتالية المنهج الفينومينولوجي تكملةً لتوجه الماهوي لكن بشكل أكثر راديكالية.

تنطلق ترنسندننتالية المنهج الفينومينولوجي من لحظة التعليق الايبوخي لتبلغ ذروتها مع لحظات الرد، التي تبرز أهمية الأنا الترنسندننتالي في بناء المعرفة الخالصة، إذ تعتبر الايبوخية اهم لحظة فينومونولوجية للانتقال المنهجي من الموقف الطبيعي إلى الموقف الترنسندننتالي على حد قول هوسرل: «فانني بلجوئي الى عملية التعليق الفينومينولوجي، انما احيل اناي الانسان الطبيعي، وحياتي النفسية، -مجال تجريبي النفسية الداخلية- الى أناي الترنسندننتالي والفينومينولوجي، الذي هو مجال التجربة الداخلية الترنسندننتالية والفينومينولوجية<sup>(27)</sup>». فكيف يتم الانتقال من الموقف الطبيعي الى الموقف الترنسندننتالي؟

إن العالم الطبيعي هو العالم المادي القائم في الزمان والممتد في المكان، وهو العالم الذي يضم الأشياء المادية، إضافة للذات الإنسانية والذوات الأخرى بوصفها موجودات طبيعية، وليس العالم عبارة عن موجودات ووقائع فحسب، بل هو عالم قيم وتجارب عملية أيضا<sup>(28)</sup>، وتكمن أطروحة العالم الطبيعي في ما يسمى "الموقف الطبيعي" من العالم، والذي تتخذة الذات ضمن وعيها الساذج، أو ما يسمى بموقف الرجل العادي، الذي يدرك الوقائع والموجودات المادية إدراكا حسيًا؛ بمعنى أن الموقف الطبيعي يتضمن اعتقاد ضمني في وجود العالم الحسي؛ أي انه يهتم بالموضوعات الخارجية بوصفها موضوعات مقصودة للوعي المرتبط بعناصر تجريبية، وفي هذا الموقف الطبيعي التلقائي -على حد تعبير هوسرل- يدرك الأنا السيكلولوجي الموضوع وفقا لعناصره الامبريقية، والتي توقن بها الذات يقينا ساذجا، لأن الأنا السيكلولوجي حين يقر بأنه يرى بيتا ابيض، فهو يدرك البيت

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592

ISSN: 2602-702X الرقم الدولي المعياري

الابداع القانوني: ديسمبر 2017

باعتباره وجودا واقعيا، وذلك بسبب الاهتمام بالموضوع الحسي والانغماس في الانفعالات السيكلوجية والمواقف المسبقة، لكن في الموقف الفينومينولوجي يتحول الأنا إلى أنا ترنسندننتالي وهو ملاحظ غير مهتم أو غير مشارك، يتوجه إلى دراسة عملية إدراك البيت وليس البيت نفسه، باعتبار أن البيت هو عنصر وجودي امريقي يجب تعليق الحكم على وجوده أساسا<sup>(29)</sup>، لأن الذات قد تقع أحيانا في الأحكام الزائفة، والأوهام والوسوسة<sup>(30)</sup> بسبب قصور الأفكار الحسية التي تبقى حبيسة للوضع المادي النسبي في الموقف الطبيعي. لكن هل يعني أن الموقف الفينومينولوجي يستدعي الاستغناء التام عن الموقف الطبيعي من أجل الوصول إلى معرفة ترنسندننتالية مطلقة؟ يشير هوسرل إلى أن الأفكار الحسية التي تنسجها الذات عن العالم على نحو مفارق للوعي الخالص، هي أفكار قاعدية<sup>(31)</sup> تمثل ابسط إشكال الوعي، وبالتالي فإنه لا يلغي أحكام الموقف الطبيعي بشكل مطلق، لأن هذا الموقف هو موقف أولي تتخذه الذات لإدراك العالم، لكن ما يرفضه هوسرل هو أن تبقى الذات في إطار الموقف الطبيعي حبيسة للموضوعية الحسية الساذجة. وبالتالي يختلف التعليق الابوخي عند هوسرل عن الشك الديكارتي، لأن الفينومينولوجيا على الرغم من إقرارها بالقيمة الذاتية لليقين المعرفي إلا أنها لا تلغي القيمة الموضوعية للعالم، أما المثالية الذاتية لديكارت فهي فلسفة منغمسة ضمن أحكامها الذاتية المطلقة. تضمن الابوخية انتقال منهجي نحو الموقف الترנסندننتالي من خلال تعليق الحكم عن كل فكرة مسبقة بما في ذلك الوضع الوجودي الطبيعي، مثل فكرة وجود الذات والعالم، إضافة للوضع التاريخي الذي يشمل الأفكار والمعتقدات والنظريات العلمية المسبقة<sup>(32)</sup>، وبذلك ينتقل الفكر من الوعي الساذج إلى الوعي الفلسفي الفينومينولوجي الذي يطلق عليه هوسرل اسم الموقف الترנסندننتالي. ويتميز الموقف الفينومينولوجي بدراسة الظاهرة من حيث هي انعطاء محايث للوعي، كما يدرس كفاءات عطائها، حيث يبدأ الوعي الخالص في التمييز بين الكفاءات العارضة، والكفاءات الماهوية<sup>(33)</sup>. إذ تعني الكفاءات العارضة؛ الخصائص الجزئية المتغيرة في الموضوعات الطبيعية مثل اللون والحجم، بينما تعني الكفاءات الماهوية؛ الخصائص الجوهرية الثابتة في الموضوع باعتباره موضوعا معطى للوعي الخالص، ليصبح ماهية كلية خالصة من خلال الرد الماهوي.

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبريج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الابداع القانوني: ديسمبر 2017

يقوم الرد الماهوي على فكرة إدراك الماهية أو بمعنى آخر، تحويل الوقائع التجريبية إلى ماهيات خالصة، ويزر الفرق بين الواقعة (Fait) والماهية (Eidos) في أن الواقعة هي الظاهرة الحسية، الجزئية، المتغيرة، أما الماهية فهي الظاهرة العقلية، الكلية، الثابتة، وعلى الرغم من أن هوسرل يؤكد على عدم الفصل التام بين الواقعة والماهية بدعوى أن كلاهما يعبر عن الظاهرة المقصودة، إلا أنهما يختلفان من حيث كيفية وجودهما، فبينما توجد الواقعة وجوداً تجريبياً، توجد الماهية وجوداً عقلياً. وعموماً ما يهم -فينومينولوجياً- هو الماهية لأن الفينومينولوجيا تريد لنفسها أن تكون منهجاً وعلماً للماهية وليس علماً للوقائع. وربما لهذا السبب ينتقد الوجوديون -بصفة عامة- فينومينولوجيا هوسرل من حيث إنها فلسفة ماهيات وليست فلسفة وجود<sup>(34)</sup>، غير أن هوسرل نفسه قد أكد -مسبقاً- أن ما يميز الفينومينولوجيا عن بقية العلوم الأخرى هو دراستها للماهيات الخالصة، لأن الفينومينولوجيا ترفض طبعاً الشعور وتتجه نحو تجريده وتحليله ووصفه كما يبدو للوعي المحايث، حيث يقسم هوسرل العلوم إلى صنفين رئيسيين؛ علوم الوقائع، وهي التي تدرس الظواهر التجريبية مثل العلوم الطبيعية والفيزيائية، وعلوم الماهيات وهي التي تدرس الظواهر الماهوية مثل الرياضيات، وهو الصنف الذي تنتمي إليه الفينومينولوجيا في منهج تحليلها الماهوي، كونه يشكل ميزة أساسية لها، لأن التوجه نحو الماهيات أكثر شمولية من الوقائع، فبينما تبقى وقائع العلوم الطبيعية منحصرة في إطار التجربة الواقعية، فإن المواضيع الماهوية لا تدل بالضرورة على موجودات واقعية، وهي مع ذلك تبقى مواضيعاً للتجربة الشعورية مثل ماهية المواضيع الخرافية<sup>(35)</sup>، فعلى الرغم من أن "العنقاء" كائن خرافي غير موجود واقعياً، إلا أن ماهية فكرة العنقاء موجودة في الشعور الخالص، ولذلك يمكن أن تكون موضوعاً للدراسة الفينومينولوجية. وفي إطار الفينومينولوجيا الترنسدنتالية لا يتوقف المنهج الفينومينولوجي عند فكرة الرد الماهوي بل يلجأ إلى فكرة أخرى أكثر مثالية؛ هي فكرة الرد الترنسدنتالي من أجل بيان قيمة الأنا الترنسدنتالي في تأسيس المعرفة.

يتعلق الرد الترنسدنتالي بترنسدنتالية الأشياء ذاتها<sup>(36)</sup>، حيث يعتمد على تحويل العالم بموضوعاته المادية، ووقائعه الحسية إلى ظواهر خالصة تمثل الماهيات الحقيقية للأشياء، إذ يكشف الرد الترنسدنتالي عن الأنا الترنسدنتالي القائم خلف الوجود المعرفي، أي أنه ما يضيف

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الإلكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الإيداع القانوني: ديسمبر 2017

المعاني الحقيقية على العالم، خلافاً للانا النفسي الذي تستند معارفه على المعطيات الحسية الجزئية<sup>(37)</sup>. وتعتبر ترانسندننتالية الرد الفينومينولوجي منهجاً أكثر راديكالية من المنهج الديكارتي لأن هوسرل رفض الوقوع في الدور الديكارتي (cercle cartésien) من أجل تأسيس يقين البدهاة الأولى على ترنسندننتالية الضمان الإلهي (Garantie divine) أو مفارقة الإله اللانهائي (l'infini)، وهو الأمر الذي يكون مستبعداً -فينومينولوجياً- مثل استبعاد مفارقة العالم ومفارقة الأنا سيكوفيزيائي<sup>(38)</sup>. لأن في الترانسندننتالية الفينومينولوجية لا يوجد ما هو أعلى يقيناً وضماناً لليقين من الوعي الترנסندننتالي نفسه.

يرتبط الرد الترנסندننتالي بالشعور الخالص المتميز بالقصدية، إذ أنه شعور قصدي لموضوعاته الماهوية الترנסندننتالية وليس مجرد انفعال حسي بالموضوع، بحيث يبرز الشعور من خلال الرد بوصفه متميزاً راديكالياً عن الواقع الموضوعي، وكذلك باعتباره وجود مطلق، يحدد المعاني اليقينية للعالم. وإذا كانت الأيوية موقف سلبى لتعليق الحكم عن الوضع الوجودي، والمادي، والتاريخي للموضوع، فإن الرد الماهوي موقف إيجابى يستخلص الماهية المجردة للمواضيع الموقوفة أيويًا، لكن الرد الترנסندننتالي يتجاوز كل ذلك إلى موقف آخر أكثر إيجابية من استخلاص البواقي الماهوية للموضوع، لأن هذا الرد هو ما يضيف على الموضوع معناه ضمن التجربة الإدراكية الترנסندننتالية للعالم من خلال الشعور القصدي وما يسمى بالتأليف البنائي (synthèse structurelle).

يستمد التأليف البنائي معناه من بنية الشعور القصدي، الذي يتألف من عنصرين أساسيين موضوع القصد (Noema)؛ أي محتوى الإدراك، وفعل القصد (noèses)؛ أي فعل الإدراك، وهذان العنصران يتكاملان في وحدة شعورية ذات طابع تألفي تمثلها علاقة قصدية لتضاييف الموضوع شعورياً، وتحصل في مجال التجربة الترנסندننتالية. ويتم التأليف (synthèses) بين فعل الإدراك وموضوع الإدراك لتأسيس البنية (structure)<sup>(39)</sup>؛ أي البنية المعرفية، الكلية. أما الصورة المنطقية للتأليف البنائي هي تطابق ذات الموضوع مع نفسها؛ بمعنى تحقيق هوية الموضوع في الشعور الداخلى، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الانتقال الفينومينولوجي من الزمان الموضوعي الخارجى (Temps objectif externe) الذي لا يشكل سوى تتابع زمني مفارق، إلى الزمان الترנסندننتالي الداخلى (Temps transcendantal interne) الذي يعرض مراحل تشكل المعنى بشكل قصدي واعى، يسير وفق

ديمومة غير متناهية. إلا أن الشعور الترنسدنتالي لا يخضع للزمان الترنسدنتالي بقدر ما يعنيه، ويعني دوره في تركيب المعنى المحايث<sup>(40)</sup>؛ أي أن الزمان الترنسدنتالي هو عنصر من عناصر التجربة الشعورية لا ينفصل عنها وأهميته المطلقة هي تأسيس المعنى على نحو محايث للشعور. فمثلا في إدراك المكعب، هناك فرق بين ديمومته الواقعية التي تظهر بشكل مستقل عن الذات وتشكل معطيات جزئية، وبين ديمومته الداخلية التي تتجلى فيها أفعال إدراكه لتأسيس إدراك كلي بماهيته، وما يحقق التأليف البنائي لإدراكه هو تطابق ماهية وجوده الواقعي مع وجوده المحايث للشعور القصدي<sup>(41)</sup> في نطاق ترانسية زمانية داخلية. وبهذا يرتبط التأليف الكلي للشعور بالوعي الباطني بالزمان الترنسدنتالي، الذي يتألف فيه الفعل والمضمون القصدي معا.

تمثل العلاقة القصدية دليلا ترنسدنتاليا على البنية النموذجية للفينومينولوجيا، والتي تتحدد بصيغة "أنا - أفكر - مفكر به"، من حيث إنها حالة شعورية للموضوع ذاته، والتي تكون فيها نقطة الابتداء هي الموضوع المعطى، ومنه يتعالى التفكير الى نمط الشعور الترنسدنتالي الطابق له<sup>(42)</sup>؛ أي أن العلاقة القصدية هي الرابط الترنسدنتالي بين الذاتية الترنسدنتالية والمواضيع الشعورية، حيث يقوم الأنا الترنسدنتالي بحدس الماهيات ضمن الشعور القصدي ويتضمن هذا الحدس رؤية عقلية لكلية الماهيات الثابتة المحايثة للوعي<sup>(43)</sup>، إذ يطلق هوسرل مصطلح الحدس على كل فعل يمثل تجربة شعورية لشيء ما على اعتبار انه معطى شعوري<sup>(44)</sup>، واهم ما يميز هذا الحدس انه عقلي، وقصدي للموضوعات الترنسدنتالية المحايثة للوعي. وبالعودة إلى القصدية فإنها تتخذ دلالتها الترنسدنتالية من تحولها من قصدية ماهوية في الرد الماهوي إلى قصدية عملية إنتاجية في الرد الترنسدنتالي، وذلك لأن هذا الأخير لا يعني مجرد رد شعور ماهوي محايث، بل هو رد شعور ترنسدنتالي مؤسس ومُنتج لمعاني العالم ولذلك تسمى الفينومينولوجيا الترنسدنتالية بالفينومينولوجيا التأسيسية.

ان المنهج الفينومينولوجي هو منهج ماهوي، كلي، ترنسدنتالي لتأسيس المعنى الانطولوجي من خلال انجازات الذات الترنسدنتالية، ومن معنى التأسيس (Fondation) الراديكالي لمعنى الوجود والعالم، تستمد ترانسدنتالية الفينومينولوجيا معناها من حيث هي نظرية ابستمولوجية ومنهج



ترنسندننتالي للتجربة الشعورية الذاتية المؤسّسة لمعاني العالم، لكن كيف يمكن لهاته النظرية الترنسندننتالية للمنهج الابستيحي، أن تتحول الى نظرية ترانسندننتالية لعالم المعيش؟.

### 3- النظرية الترنسندننتالية لعالم المعيش:

ان الحديث عن النظرية الترنسندننتالية لعالم المعيش هو الحديث نظرية فينومينولوجية لأزمة المعنى، وعلى الرغم من أن هذه النظرية قد ظهرت مع هوسرل في أواخر حياته الفكرية إلا أن شعوره بالأزمة، قد ظهر منذ مرحلة كتابته لمؤلف "فلسفة الحساب" ( La philosophie de l'arithmétique 1891) إلى غاية مرحلة كتابته لمؤلف "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندننتالية" ( La Crise des sciences européennes et la Phénoménologie 1936) (transcendantale)<sup>(45)</sup>، غير أن هذا الأخير كان أكثر تأكيدا على ذلك بشكل جلي من العنوان حتى المضمون، حيث دعا هوسرل من خلاله على ضرورة الفينومينولوجيا الترنسندننتالية بعد أن احتدت أزمة عالم المعيش، ويعني عالم المعيش؛ العالم الذي تم إقصاؤه من طرف المنظور العلمي والتقني، أي العالم من حيث هو أفق (Horizon) مرتبط بانجازات الذات، والتي تجري فيه خبراتنا اليومية<sup>(46)</sup>، بوصفها تجارب معاشة مع غيرها من الذوات الأخرى، فهو عالم الخبرة، والثقافة، وهو العالم الأولي الذي تتأسس عليه جميع معارف العالم العلمي، الذي تحدده لغة العلم بمفاهيم علمية وتقنية جامدة، لتفصله عن عالم المعيش الإنساني.

ظهرت أزمة عالم المعيش انعكاسا للتطور الرياضي والعلمي الذي طرأ على الفكر الغربي في القرن التاسع عشر، والذي أثر كثيرا على نظرة العلماء والفلاسفة للعالم، لتحدث أزمة مركبة شملت؛ أزمة العلوم الأوروبية والسيكولوجيا، وأزمة الفلسفة، وأزمة المعنى. إذ يحدد "ريكور" في كتابه: "في مدرسة الفينومينولوجيا" (A l'école de la Phénoménologie) الظروف الرئيسية للأزمة في نقطتين أساسيتين؛ هما مشكلة النزعة الموضوعية، ومشكلة الفلسفة الترنسندننتالية الحديثة، فهاتان المشكلتان قد خلقتا ضرورة بالغة لنشأة الفينومينولوجيا الترنسندننتالية<sup>(47)</sup>. وهذا ما يوضحه هوسرل في كتاب "الأزمة" (1936) الذي يعتبر فيه أن أزمة العلوم الأوروبية ترتبط بسيطرة النزعة الموضوعية على نظرة الإنسان للعالم، التي أصبحت نظرة تقنية بحتة، تسير النظرية العلمية الموضوعية للعالم. مما أدى إلى تغييب المعاني الروحية لعالم المعيش، وتشويه الإنسانية والتخلي

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

عن الأسئلة الجوهرية للوجود الإنساني والمتعلقة، بطبيعة الإنسان، ومحيطه، ومصيره، ودوره الذاتي في المعرفة، لأن النزعة الموضوعية تستبعد كل ما هو ذاتي<sup>(48)</sup>. كما إن العلوم الطبيعية قد افتقرت إلى الوحدة بين تخصصاتها، بعد أن استقلت عن الفلسفة وشموليتها، وهذا ما يرتبط بأزمة الفلسفة ذاتها، والتي تتمحور حول التشكيك في إمكانية المعرفة الميتافيزيقية والفلسفية، مما خلق أزمة المعنى، والابتعاد عن البحث في القضايا الفلسفية المهمة للإنسان، مثل أسئلة معنى التاريخ، ومعنى الإنسانية وثقافتها، ومعنى الحرية، ومعنى الوجود برمته.

ينتقد هوسرل النزعة الموضوعية التي تحاول جعل النموذج الرياضي-الفيزيائي نموذجا أسى لكل المعارف، لأن مناهج هذين العلمين محدودة بنسقتها، وهذا ما يفسر عجز السيكلوجيا على أن تكون علما تجريبيا بحتا<sup>(49)</sup>، وهو ما ينطبق على سائر العلوم الإنسانية بسبب اختلاف طبيعة مواضيعها عن مواضيع المادة الجامدة وهو الأمر الذي قد أشار إليه "دلثاي" (Wilhelm Dilthey: 1833-1911) مسبقا ضمن التمييز بين علوم الروح وعلوم المادة. كما انتقد هوسرل النزعة الترساندنتالية الحديثة أيضا كونها نزعة ذاتية تلغي العالم الخارجي كليا لتبني المعرفة على تمثلات ذاتية معزولة، فهي بذلك لا تؤسس للعلم الحقيقي<sup>(50)</sup>. لأن العلم الحقيقي في نظر هوسرل هو علم يزاوج بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، لإنتاج المعرفة اليقينية الصارمة.

إن أزمة عالم المعيش -في نظر هوسرل- متجذرة في مزالق كل من النزعة الموضوعية، والنزعة الترساندنتالية الحديثة، والحل في نظره هو تجاوز هاتين النزعتين بمواقفهما المتطرفة، إلى ترانسندنتالية جديدة متجاوزة لعوائق كل من النزعة الموضوعية والترساندنتالية معا، وتمثل الشكل الأخير للفينومينولوجيا الترساندنتالية<sup>(51)</sup>، هي الفينومينولوجيا الهرمونيطيقية باعتبارها نظرية لتأويل معاني العالم، وفينومينولوجيا مقومة نظرا لاهتمامها بأفعال التأسيس الذاتي للعالم الخارجي، والأهم؛ إنها فينومينولوجيا تكوينية تهتم بتكوين معاني العالم المعيش الذي غيبته النظرة العلمية للنزعة الموضوعية.

تعني الفينومينولوجيا التكوينية فينومينولوجيا ترساندنتالية لتكوين معنى العالم وهي بذلك مختلفة عن الفينومينولوجيا الستاتيكية التي تهتم بكيفيات البناء الواعي للموضوعات بما هي ماهيات ثابتة، فالفينومينولوجيا التكوينية لا تتعلق بتحليل الأنساق والبنى العلائقية الجاهزة لبناء

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

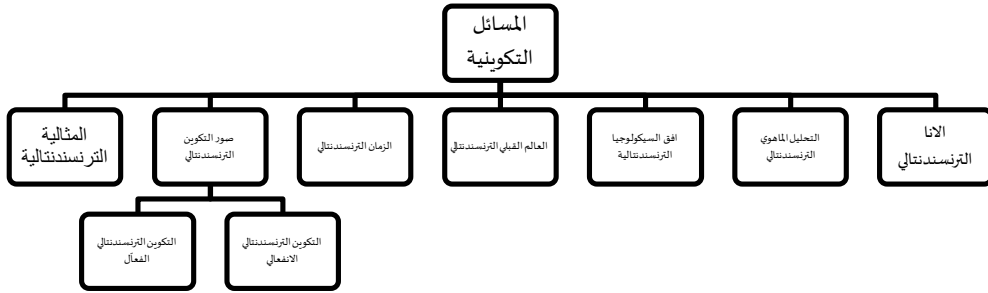
التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

الموضوعات الماهوية، بل هي تحليل لتكوين هذا البناء والتاريخ الداخلي لأفق وعيه المركب<sup>(52)</sup>، إذ يتجاوز هوسرل في المرحلة التكوينية الطرح الستاتيكي لمؤلف الذي كان فيه -بوحى كانطي- يرى بان الأنا عنصر ثابت مطابق لذاته في كل عمليات الوعي، إذ أصبح هوسرل انطلاقا من مؤلف "التأملات" إلى مؤلف "الأزمة"، يرى أن الأنا هو عنصر معقد تتألف فيه العديد من القدرات والقناعات والمكتسبات والتجارب<sup>(53)</sup>، وليس هذا التاريخ التكويني خاصا بالأنا فحسب بل هو خاص بموضوعاته أيضا والتي تملك تاريخا تكوينيا قريبا لكيفيات بنائها. ويعني القبلي ما هو سابق عن البناء المعرفي والذي له دور كبير في تحديد المعنى ويتجلى في الأفق القبلي المحايث للتجربة الشعورية، الذي سيتم توضيحه ضمن المسائل التكوينية. يمكن تمثيلها بمخطط، كما يلي:

مخطط يوضح: مسائل التكوين في الفينومينولوجيا الترנסندننتالية



يرتبط التكوين الترנסندننتالي بعدة مسائل تكوينية، طرحها هوسرل في التأمل الرابع من كتابه التأملات من اجل بيان الأطر الرئيسية للفينومينولوجيا التكوينية، منها ما يتعلق بالأنا الترנסندننتالي، والتحليل الفينومينولوجي، وأيضا مجال السيكلوجيا الترנסندننتالية وكذلك ما يخص العالم الصوري القبلي، بالإضافة إلى مسألة الزمان الترנסندننتالي، وصور التكوين. واهم مسألة في التكوين هي مسألة الذاتية الترנסندننتالية، وهي مسألة تتعلق بمدى ارتباط الأنا الترנסندننتالي بالشعور القصدي، لان كل شعور هو شعور بشيء ما؛ أي أن هناك توافقا بين التكوين الداخلي للعالم، والتكوين الخارجي للعالم، إلا أن التكوين الأول ماهوي، بينما التكوين الثاني مادي. ويتكون الأنا الشعوري من خلال تألف الموضوعات الشعورية الماهوية مع الشعور الزماني والتجربة الشعورية وكل هذه العناصر تتضايغ من اجل تكوين هوية الأنا من خلال

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري 2602-702X:ISSN

الابداغ القانوني: ديسمبر 2017

العمليات القصدية لتصبح هويته متجددة<sup>(54)</sup>. إذ أن الأنا ليس قطبا لتوحيد فارغ، بل هو "امتلاء عيني" بمفهوم هوسرل، أي انه قطب هوية متجدد، ويكتسب هويته من خلال الأفعال القصدية التي يقوم بها بشكل مستمر مثل التذكر والإدراك والتخيل<sup>(55)</sup>، ومع ذلك فإن الأنا الترنسندننتالي لا يتغير بتغير المعطيات الشعورية مثل الأنا النفسي، بل هو تكوين مستقل بماهية راديكالية بديهية لوجوده لذاته، بوصفه مونادا متفردا بتعبير ليبينتر<sup>(56)</sup>؛ أي انه أنا متميز بوعيه الذاتي، بأحواله الشعورية مما يجعله يمثل ذاته بشكل فريد. أما التحليل الماهوي لانا فهو العملية التي يتم بها التكوين الماهوي للعالم من خلال المنهج الفينومينولوجي<sup>(57)</sup>، أي بواسطة الرد الماهوي والرد الترنسندننتالي، وما يتبعهما من وصف للماهية الخالصة، بحيث تشكل هذه الماهيات الترنسندننتالية البنى النموذجية للتكوينات الداخلية للعالم الخارجي، لكن بشكل أكثر كلية وصورية وضرورة ومطلقية<sup>(58)</sup>. أما مجال البنى الماهوية الصورية فهو السيكلوجيا الترنسندننتالية التي تمثل أفق ترنسندننتالي مطلق للتجربة الشعورية القصدية المحايثة<sup>(59)</sup>. خلافا لمجال السيكلوجيا التجريبية بطابعه النسبي المتغير.

تقر الفينومينولوجيا التكوينية الترنسندننتالية بأن منهجها صوري لان تكوين الأنا يكشف عن بنية صورية ماهوية تتضمن كل المعطيات الممكنة للعالم الواقعي، بشكل قبلي، إذ أن «القبلية الخاصة بالأنا الترنسندننتالي بما هي كذلك هي صورة جوهرية تشمل عددا لا يحصى من الصور التي هي بمثابة نماذج قبلية لمتحققات الحياة القصدية<sup>(60)</sup>» والفينومينولوجيا التكوينية هي العلم الذي يدرس تلك البنى والصور والعلائق وحتى القوانين التي يتضمنها الأنا الترنسندننتالي بشكل قبلي من أجل تكوين المعنى الخالص للموضوعات الخارجية بعد التجربة الشعورية المطابقة لها. ويمثل الزمان الترنسندننتالي الصورة الكلية للتكوين الايغولوجي بما يضيفه من علاقات تشكل المعنى الممكن، فهو المجال الترنسندننتالي الذي يحدد المعنى من خلال التلاحق والتعاقب الباطني للوعي<sup>(61)</sup>. وبالتالي يعطي نوعا من النظام والتراتبية للحدث الشعوري الواعي لخلق المعنى.

ويشتمل التكوين الترنسندننتالي على صورتين أساسيتين هما التكوين السلبي الانفعالي، والتكوين الايجابي الفعّال، فأما التكوين الانفعالي فهو تكوين مهمته تكوين الترابط بين المعطيات الحسية لكن ليس من خلال الأنا النفسي بمفهوم "هيوم" للسببية بل هو ما يعنى بترابط الكيفيات الحسية

بحسب عمليات التعاقب والتلاحق في الزمان الباطني للوعي القصدي<sup>(62)</sup>. أما التكوين الفعّال فهو تكوين مكمل للتكوين الانفعالي ووظيفته التأليف، وجميع وظائف العقل العملي تعود إليه لأنه يدمج العديد من الفعاليات والقدرات الخاصة بالأنا الترנסندننتالي من اجل تكوين المعنى، وكما يحدث التكوين الفعّال ضمن الذاتية الترנסندننتالية، فانه يحصل أيضا ضمن الفعاليات الينذاتية المشتركة، مثل الفعاليات الثقافية<sup>(63)</sup>؛ أي الينذاتية الترנסندننتالية.

ومن خلال أفق الوعي الترנסندننتالي تنتقل الذات الى مسألة المثالية الترנסندننتالية التي لا تحدد الفينومينولوجيا باعتبارها سيكولوجيا ذات نزعة تجريبية، بل سيكولوجيا ذات نزعة ماهوية خالصة، لان حدس المواضيع باعتبارها ماهيات باطنية هو حدس للشعور القصدي الباطني الترנסندننتالي، لكن مع استبعاد فكرة الضمان الإلهي او اليقين الترנסندننتالي للاله، التي كانت تؤيدها الترנסندننتالية الكلاسيكية الديكارتية<sup>(64)</sup>، لان الترנסندننتالية الفينومينولوجية لا تعترف بشيء أكثر يقينا من اليقين الذاتي للانا الترנסندننتالي. وليس الأنا عنصرا وحيدا - كما تمت الإشارة سابقا- بل هو عنصر فعّال متفاعل في أفق بينذاتي مشترك، لتصبح الذاتية الترנסندننتالية، بينذاتية ترنسندننتالية في ما يسمى بـ "فكرة التداوت الترנסندننتالي" ( intersubjectivité ) (transcendental).

يطرح هوسرل فكرة التداوت في كتابه التأمّلات (1936)، خصوصا في التأمل الخامس باعتبارها تجاوزا لا يغولجيا الترנסندننتالية الكلاسيكية، إلى تجربة الآخر في ترنسندننتالية الفينومينولوجيا، أو ما يمثل حقل علاقة ترنسندننتالية بالآخر، والذي يعتبره هوسرل ذاتية بينية موندانية<sup>(65)</sup>، ولعل هذا الاعتبار هو أكثر ما يوضح تأثير ليبنتز على فينومينولوجيا التداوت في فكرة تعالق الموندات المتفردة والتي تتميز بوعي ذاتي يربطها بالموندات الأخرى. ويتحدد معنى التداوت في خاصية "النحن الترנסندننتالي"، أو "التجمع الترנסندننتالي للنحن" في مقابل الوجود الفردي للانا أي أن التداوت هو العلاقة التي تنطلق من معنى انطولوجي لتتعدى ذلك إلى معنى ترنسندننتالي يجمع بين الذوات المفكرة، إذ يصبح الرد الترנסندننتالي للانا، ردا تداوتيا<sup>(66)</sup> في العلاقة الينذاتية، وهاته العلاقة تطرح حقا تبادليا للتأسيس الترנסندننتالي بين الذوات يسمى الأفق، وليس التداوت ذو معنى تجريبي

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

للانطولوجيا الامبريقية، بل هو معنى مثالي لانطولوجيا تجتمع فيها الأفكار لتتجاوز التأسيس الذاتي في وجوده الفردي إلى التأسيس البينذاتي في وجوده المشترك.

يحضر الآخر في التجربة الفينومينولوجية بوصفه موضوعا ترنسندننتاليا مستمد من العالم الواقعي الطبيعي، غير أن إدراك الآخر الإنساني يختلف عن إدراك الجمادات أو الأشياء الطبيعية الأخرى على الرغم من انتمائه للطبيعة بشكل ما، وذلك لان الآخر دوما ما يؤثر على الذات ويتأثر بها فكريا ونفسيا، أي أن الآخر هو موضوع نفسي-طبيعي<sup>(67)</sup>، ولأنه كذلك فإن التجربة التذاتية الواعية للذات، تكون فعالة ومتفاعلة مع الآخر. لأنها تمثل تجمع ذوات مفكرة، مرتبطة بأفعال التأسيس الترنسندننتالي المشترك. الذي يتعدى حدود ما هو امبريقي إلى ما هو مثالي وبالتالي تشكل العلاقة التذاتية فعاليات متبادلة ثقافيا وفكريا تتفاعل ضمن أفق عالم المعيش.

إن الفينومينولوجيا التكوينية هي نظرية ترنسندننتالية لعالم المعيش، من حيث هو أفق طبيعي وتلقائي يكتسب طابعا ترنسندننتاليا ضمن الفعاليات المشتركة للبينذاتية المفكرة، فعالم المعيش هو عالم التجارب والخبرات اليومية، والأفكار الثقافية والحوار المتبادل، وان أزمة عالم المعيش لا تكمن سوى في تغييب هذا المعنى ضمن معنى تقني ترسمه قوانين العالم الفيزيورياضي، الذي تغييب فيه الذات الإنسانية وقيمها الروحية التي تجعلها عنصر فاعل يضع القوانين العلمية دون أن يتموضع ضمن قالبها المادي البحث. وبالتالي فان حل أزمة العالم يكمن ضمن فهم فينومينولوجي عميق للمعاني الترنسندننتالية لعالم التجربة المعاشة، ليصبح العالم العلمي، هو نفسه عالم المعيش الإنساني ضمن تجاربه وخبراته.

تعطي الفينومينولوجيا الترنسندننتالية قيمة كبيرة لمفهوم الأفق باعتباره مجالا لتجارب المعنى الذاتي والتذاتوي الترنسندننتالي للعالم، وهذه التجارب لا تعتبر تجارب لمعطيات واقعية، ذات معنى في ذاتها، بل هي معطيات تأخذ معناها الترنسندننتالي من التأسيس الشعوري لعالم المعيش من حيث هو أفق عالمي يحمل دلالاته القبيلية بشكل مسبق قبل أن يتم تكوينه بعديا من قبل التجربة الشعورية الخاصة بالموضوع القصدي الواقعي، وهو ما يجعل من الفينومينولوجيا فلسفة ترنسندننتالية ذات طابع مثالي ينحرف عن هدفها الأساسي الذي وضعه هوسرل لتجاوز كل من الواقعية-المثالية. لأنها أضحت بالفعل فلسفة ترنسندننتالية مثالية لتكوين المعاني اليقينية للعالم

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

على أسس ذاتية، بل ذاتية قبلية للوعي الترנסندننتالي. ومن هذا المنطلق يرفض "هيدغر" البعد الترנסندننتالي للفينومينولوجيا من حيث اعتمادها المتطرف على انجازات الوعي الترנסندننتالي، وعلى الرغم من تأثره بالمنهج الفينومينولوجي، إلا أنه ينتقد ترنسندننتالية هوسرل التي تقوم بتحليل الماهيات الخالصة وحدها ضمن أفق قبلي مثالي، إذ يربط في كتابه "الكيونة والزمان" (Être 1927) (et temps) السؤال عن الوجود بالوجود المتعين، من خلال فكرة الآنية حيث يشير إلى الزمان باعتباره أفق ترانسندننتالي للسؤال عن الوجود<sup>(68)</sup>، فهو ما يعبر عن آنية الدازاين "الموجود هنا"، ليصبح الترנסندننس هو تعالي في الزمان نحو الوجود في الزمان، أو واقعية الوجود، للانتقال من فكرة الأنا الترנסندننتالي المثالي إلى فكرة الأنا الموجود في العالم الواقعي، وهي انتقال فينومينولوجي نحو الانطولوجيا الهرمونيطيقية (ontologie hermonétique) باعتبارها تحليلا للكيونة، وليست تحليلا للماهيات الترנסندننتالية.

وان كانت فينومينولوجيا هيدغر قد حوّلت مسار الترנסندننس نحو فهم الموجود فان فينومينولوجيا ميرلوبونتي أيضا قد تجاوزت ترانسندننتالية الوعي الخالص نحو ترانسندننتالية خبرة العالم الطبيعي، لتتحول مقولة الوعي الترנסندننتالي إلى مقولة الوعي المتجسد<sup>(69)</sup> في فنومينولوجيا الجسد (phénoménologie de corps) التي تقوم على الإدراك الحسي المرتبط بالوجود الواقعي، بدلا من الوجود المثالي. وفي موقف مقارب ينتقد "رومان انغاردن" ترانسندننتالية هوسرل، لانغماسها في الطرح المثالي، لأنها تؤسس المعنى الواقعي للموضوعات الخارجية على الأفعال القصدية للوعي الترנסندننتالي، بحيث يصبح الموضوع مجرد مضمون نويماطيكي، (contenu noématique) او معنى مقصود<sup>(70)</sup>، باعتباره محتوى ماهوي خالص، وبالتالي تفقد الموضوعات الخارجية قيمتها الواقعية لتنحصر في كيانات ماهوية تنجزها الذات الخالصة، لان هوسرل يجعل من الموضوعات الماهوية القبلية مطابقة للموضوعات الواقعية المعطاة من خلال التجربة الواقعية، من حيث هي انعطاءات محايدة للوعي، ومن اجل تجاوز المثالية؛ يميز انغاردن بين نمط وجود الموضوع القصدي الخالص، ونمط الموضوع الواقعي<sup>(71)</sup>. فالموضوع القصدي الخالص لا ينفصل وجوده عن وجوده القصدي المناظر له، وهو ما يظهر في الأعمال الفنية من حيث هي نشاطات مقصودة تتعلق بالمتذوق، دون ان تفصل بنيتها عن الأفعال القصدية للوعي الذاتي، أما الموضوع الواقعي فهو لا يعتمد في وجوده على

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الابداع القانوني: ديسمبر 2017

النشاط القصدي، لأن بنيته مستقلة عن الوعي، أي أنها مفارقة للوعي الخالص وليست محايدة له. ولا يكفي انغاردن بالتمييز بين الموضوعات القصدية والموضوعات الواقعية، بل يتعدى ذلك إلى تمييزه بين الموضوعات القصدية الماهوية، والموضوعات من حيث هي أفكار والتي كان يعتبرها هوسرل أيضا بذات المعنى، أي أن الماهية مطابقة للفكرة. فانغاردن يرى أن الموضوع القصدي الماهوي قد يشير إلى مضمون واقعي او مثالي، بينما الأفكار فهي غير قابلة للتحديد، أي تكون مستقلة تماما عن المضامين الواقعية في اطارها الزمكاني. ولذلك يطرح في كتابه "العمل الفني الأدبي" (1931)، فينومينولوجيا استيطيقية (phénoménologie esthétique) تتمحور حول الموضوعات القصدية الواقعية وتعتبر انطولوجيا تعددية<sup>(72)</sup> (ontologie pluraliste) تدرس الموضوعات لحسابها الخاص وليس لحساب ذاتية ترنسندننتالية، لأن فحص الخبرة الجمالية يكون فحصا لأبنية ماهوية معطاة للوعي القصدي من خلال تجربة واقعية لا تتأسس على أفق مسبق بل تتأسس على توافق فعلي بين الموضوع القصدي وفعل القصد في التجربة الجمالية للعمل الفني

خاتمة:

يمكن القول -ختامًا- أن الفكر الترנסندننتالي هو فكر ارتقائي وحركة للعلو الفكري على الواقع الحسي المتغير، وفي معاصرة كثرت متغيراتها صار لأبد من ضرورة التعالي نحو ترنسندننتالية الفكر التي هي دعوة للعلو مثلما هي دعوة للتفلسف الحق، لأن التفلسف لا يكون بغير تعالي عن كل شيء وفوق كل شيء. كما يمكن القول أيضا أن فينومينولوجيا هوسرل كانت من ابرز الحركات الفلسفية المعاصرة، ومن أهم النماذج حول الترנסندننس الفلسفي، والذي تحولت من خلاله من فينومينولوجيا ناشئة، إلى فينومينولوجيا ترانسندننتالية، وفي مضمون ذلك، يمكن إيجاز أهم النقاط التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث في ما يلي:

أولاً: إن الفينومينولوجيا هي حركة فكرية معاصرة تأسست مع هوسرل في القرن العشرين، وعلى الرغم من أن مصطلح (phénoménologie) قد ظهر منذ القرن الثامن عشر مع فلسفة لامبرت، ثم كانط، وهيجل، إلا أن هوسرل يعتبر المؤسس الفعلي للفينومينولوجيا حين جعلها فلسفة متكاملة بوصفها منهجا وعلميا كليا، لدراسة ظواهر الوعي باعتبارها ماهيات خالصة تمثل حقيقة الأشياء، تحت شعار "التوجه نحو الأشياء ذاتها"، الأشياء في وجودها المحايث من خلال الحدس الترנסندننتالي.

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبرج

التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري 2602-702X:ISSN

الايداع القانوني: ديسمبر 2017



ثانياً: ان الترنسندننتالي (transcendental) هو مفهوم، يصف موجودات ومبادئ وأفكار تتعالى عن العالم المادي المتغير، ولم يكن هوسرل أول من تعرض لهذا المفهوم، حيث تمتد جذوره الى الفلسفات القديمة - على غرار الفلسفة اليونانية- التي تعرضت إليه ضمن مثالية أفلاطون على وجه الخصوص، اما عن المصطلح فقد ظهر مع السكولائيين -ثيولوجيا- للدلالة على ما يتجاوز مقولات أرسطو، مثل الواحد، والحق، والخير، ليتم استخدامه بمعاني مختلفة ضمن النظريات الفلسفية المتعددة، وقد جعله كانط في معنى ابستيمولوجي حول المبادئ القبلية السابقة عن التجربة، ليطوره هوسرل في الفينومينولوجيا إلى فكرة الأنا الترنسندننتالي الذي يتميز بتجربة شعورية محايدة، تنقله من الموقف الطبيعي المادي الى الموقف الفينومينولوجي الترنسندننتالي في اطار الفينومينولوجيا الترنسندننتالية.

ثالثاً: إن الفينومينولوجيا الترنسندننتالية (Transcendantale La phénoménologie) هي فلسفة ابستيمولوجية لنقد الكيفيات القبلية لقيام المعرفة، وهي بهذا المعنى؛ إحياء للفلسفة النقدية الكانطية، لكن بشكل أكثر راديكالية، لان الفينومينولوجيا لا تفترض مبادئ سابقة عن التجربة بل تجعل من التجربة الشعورية الخالصة لاننا الترنسندننتالي هي مصدر كل يقين معرفي ومهمة الفينومينولوجيا الترنسندننتالية هي تحليل التجربة الشعورية خلال العمليات الإدراكية للعالم، وهي بذلك تمثل منهجا ترانسندننتاليا للمعرفة، وفلسفة للمعنى الترنسندننتالي.

رابعاً: تكمن ترانسندننتالية المنهج الفينومينولوجي في اعتماده على يقين الأنا الترنسندننتالي في المعرفة وذلك من خلال منهج التعليق الايبوخي والرد الماهوي والترنسندننتالي، بالإضافة الى عملية التأسيس، في قصدية تأسيسه تتجاوز الوصف الفينومينولوجي، إلى التأسيس الترنسندننتالي للمعنى انطلاقاً من انجازات الذاتية الترنسندننتالية التي تحمل معاني العالم ونماذجه الثابتة بشكل قبلي ترنسندننتالي وهذه الانجازات لا تكون سوى ضمن أفق التجربة الشعورية ووعمها الباطني بالزمان الترانسندننتالي المستقل عن الزمان الموضوعي.

خامساً: تعتبر الفينومينولوجيا فلسفة للمعنى الترنسندننتالي، باعتبارها حلاً لازمة غياب المعنى، التي ظهرت على اثر التطورات العلمية للقرن التاسع عشر، لفشل الفلسفة الترنسندننتالية الكلاسيكية في تأسيس فلسفة كلية صارمة، مما أدى لسيطرة النزعة الموضوعية على معنى العالم، وتغييب دور الفلسفة ومساءلاتها الإنسانية، وخلق مشكل الثقافة التقنية، ولتجاوز هذه الأزمة كان لابد من تحويل الفينومينولوجيا الى فينومينولوجيا ترنسندننتالية لعالم المعيش، وذلك من خلال طرحها لفكرة التأسيس

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الرقم الدولي المعياري ISSN: 2602-702X

الايداع القانوني: ديسمبر 2017

الذاتي الترנסندننتالي للعالم في إطار بينذاتية الترנסندننتالية أو التداوت من حيث هو فعاليات مشتركة للذاتيات الواعية في تجربتها المعاشة التي تكتسب ضمنها الذات خبراتها وتحقق ضمنها انجازاتها دون فصل عالم العلم عن عالم المعيش الإنساني لأن عالم المعيش هو عالم التأسيس للمعنى.

خلاصة القول إن الترانسندننتالية هي توجه فلسفي نحو التعالي؛ تعالي الإله عن العالم، أو تعالي الفكر عن المادة أو تعالي الوعي عن الحس أو حتى تعالي الذات عن الموضوع، الذي تطرح فينومينولوجيا هوسرل، لأن ترانسندننتالية الفينومينولوجيا هي استحضاراً لمشروع الفينومينولوجيا الترנסندننتالية، الذي يتأسس على انجازات الذاتية الترנסندننتالية وفعاليتها المتبادلة ضمن المعيش التداوتي، وهي فلسفة تأسيسية للمعنى الخالص انطلاقاً من تجربة شعورية باطنية، وأفق ما قبلي لنماذج التكوين الترנסندننتالي، ولذلك فإن ترانسندننتالية الفينومينولوجيا تهتم بالمحاثة القصدية الماهوية، ليصبح العالم المادي هو المفارق لاحكام الأنا الترנסندننتالي بالتعليق الايبوخي والاختزال، وتكمن أهمية الفينومينولوجيا الترانسندننتالية في كونها نظرية ترانسندننتالية لحل أزمة عالم المعيش الذي جعلته العلوم الأوروبية عالم علمي موضوعي، مجرد من تكويناته الذاتية لتضفي عليه تأويلات ذاتية خالصة تربط بين العالم العلمي وعالم المعيش الإنساني. كما يعود الفضل للفينومينولوجيا الترנסندننتالية في إعادة إحياء المسألة الترانسندننتالية وجعلها مجالاً خصباً للدراسات المعاصرة.

#### الهوامش:

- <sup>1</sup> محمد محسن الزراعي، مدخل إلى الفينومينولوجيا، هوسرل والمسألة المثالية - مطبعة التفسير الفني، صفاقس، ط1، 2005، ص ص 118.120.
- <sup>2</sup> نفس المرجع، ص 113.
- <sup>3</sup> نفس المرجع، ص 60.
- <sup>4</sup> هوسرل ادموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وفلسفة فينومينولوجية، تر: ابو يعرب المرزوقي، جداول، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 67.
- <sup>5</sup> محمد محسن الزراعي، مدخل إلى الفينومينولوجيا، المرجع السابق، ص 57.
- <sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 68.
- <sup>7</sup> محمد محسن الزراعي، مدخل إلى الفينومينولوجيا، المرجع السابق 79.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 81.

<sup>9</sup> Jean-Francois Lyotard, La phénoménologie, Presses Universitaires de France, Editions Delta, paris, 1996, p p 16.17.

<sup>10</sup> محمد محسن الزراعي، مدخل إلى الفينومينولوجيا، المرجع السابق، 83.

<sup>11</sup> المرجع نفسه، 88.

<sup>12</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية –مدخل الى الفينومينولوجيا– تر: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، (د.ط.)، (د.ت.)، ص ص 42، 41.

<sup>13</sup> محمد محسن الزراعي، مدخل إلى الفينومينولوجيا المرجع السابق، ص ص 94، 93.

<sup>14</sup> نفس المرجع، ص ص 98، 99.

<sup>15</sup> المرجع نفسه ص 101، 100.

<sup>16</sup> المرجع نفسه، ص 104، 105.

<sup>17</sup> هوسرل ادموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وفلسفة فينومينولوجية . المصدر السابق، ص ص 22، 23.

<sup>18</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 90.

<sup>19</sup> مجموعة من الاكاديميين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة- صناعة العقل الغربي من مركزية الحدائثة الى التشفير المزدوج- ج1، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 150.

<sup>20</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 60.

<sup>21</sup> نادية بونفقة، فلسفة ادموند هوسرل -نظرية الرد الفينومينولوجي- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 2005، ص ص 88، 89.

<sup>22</sup> هوسرل ادموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترندنتالية، ترجمة اسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008، ص 13.

<sup>23</sup> هوسرل ادموند، الفلسفة علما صارما، تر: محمود رجب، المجلس الاعلى للثقافة، ط 1، 2000، ص 43.

<sup>24</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 54.

<sup>25</sup> نادية بونفقة، فلسفة ادموند هوسرل -نظرية الرد الفينومينولوجي- المرجع السابق، ص 77.

<sup>26</sup> هوسرل ادموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وفلسفة فينومينولوجية . المصدر السابق، ص 30.

<sup>27</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 90.

<sup>28</sup> هوسرل ادموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وفلسفة فينومينولوجية . المصدر السابق، ص 101.

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوغريبيج  
الرقم الدولي المعياري 2602-702X:ISSN التقييم الدولي الالكتروني: 2773-2592

الابداع القانوني: ديسمبر 2017

- <sup>29</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 103-106.
- <sup>30</sup> هوسرل ادموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وفلسفة فينومينولوجية، المصدر السابق، ص 101-105.
- <sup>31</sup> المصدر نفسه، ص 104.
- <sup>32</sup> سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991، ص 145.
- <sup>33</sup> هوسرل ادموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وفلسفة فينومينولوجية، المصدر السابق، ص 106.
- <sup>34</sup> ام بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، العدد 165، 1992، ص 206.
- <sup>35</sup> نفس المرجع، ص 185.
- <sup>36</sup> Jean-Francois Lyotard, La phénoménologie, Presses Universitaires de France, Editions Delta, paris, 1996, p 18.
- <sup>37</sup> سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، المرجع السابق، ص 133.
- <sup>38</sup> نادية بونفقة، فلسفة ادموند هوسرل - نظرية الرد الفينومينولوجي - المرجع السابق، ص 105.
- <sup>39</sup> سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، المرجع السابق، ص 167.
- <sup>40</sup> هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 121، 122.
- <sup>41</sup> المصدر نفسه، ص 118، 119.
- <sup>42</sup> المصدر نفسه، ص 133، 134.
- <sup>43</sup> المصدر نفسه، ص 138، 139.
- <sup>44</sup> Jonathan Rée and J. O. Urmson, The Concise Encyclopedia of Western Philosophy, Routledge, the USA and Canada, Third Edition, 2005, p 420.
- <sup>45</sup> مجموعة من الاكاديمين العرب، موسوعة الابحاث الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة - صناعة العقل الغربي من مركزية الحدائثة الى التشفير المزدوج - ج1، المرجع السابق، ص 153.
- <sup>46</sup> هوسرل ادموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترندنتالية، المصدر السابق، ص 643.
- <sup>47</sup> Paul Ricoeur . A l'école de la Phénoménologie, Librairie philosophique J.vrin, paris, 1986.
- <sup>48</sup> هوسرل ادموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترندنتالية، المصدر السابق، ص 42-45.
- <sup>49</sup> المصدر نفسه، ص 123-130.
- <sup>50</sup> هوسرل ادموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترندنتالية، المصدر السابق، ص 131.
- <sup>51</sup> المصدر نفسه، ص 132، 133.

- 52 المصدر نفسه، ص 25.
- 53 المصدر نفسه، ص 25.
- 54 هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 160، 161.
- 55 المصدر نفسه، ص 163.
- 56 المصدر نفسه، ص 165، 166.
- 57 المصدر نفسه، ص 168.
- 58 المصدر نفسه، ص 171.
- 59 المصدر نفسه، ص 174، 175.
- 60 المصدر نفسه، ص 177.
- 61 هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 178.
- 62 المصدر نفسه، ص 189، 190.
- 63 المصدر نفسه، ص 182-184.
- 64 المصدر نفسه، ص 191-194.
- 65 هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 205.
- 66 محمد محسن الزراعي، مدخل الى الفينومينولوجيا، المرجع السابق، ص 260.
- 67 هوسل إدموند، تأملات ديكرتية، المصدر السابق، ص 208.
- 68 مارتن هايدغر، الكينونة والزمان تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت - لبنان، 2012. ص 107.
- 69 الطيب بوغزة، يوسف بن عدي، الهرمونيوطيقا واشكالية النص، مؤمنون بلا حدود للدراسات الفلسفية والابحاث، الرباط، (د.ط)، 2016، ص 65.
- 70 سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992، ص 321، 322.
- 71 سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، المرجع السابق، ص 322.
- 72 المرجع نفسه، ص 323، 324.